

التبيان في تفسير القرآن

(61) التي اقترفوها في الدنيا لا يمكنهم جردها، وإنما تمنوا الخروج مما هم فيه من العذاب، فقالوا (فهل إلى خروج من سبيل) والمعنى فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه في طاعتك وإتباع مرضاتك. ولو علم الله تعالى أنهم يفلحون لردهم إلى حال التكليف، لأنه لا يمنع إحسانا بفعل ما ليس بإحسان. ولا يؤتى أحد من عقابه إلا من قبل نفسه، وكذلك قال في موضع آخر (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (1) تنبيها أنهم لو صدقوا في ذلك لاجابهم إلى ما تمنوه، وإنما يقولون هذا القول على سبيل التمني بكل ما يجدون إليه سبيلا في التلطف للخروج عن تلك الحال، وإنه لا يمكن أحدا أن يتجلد على عذاب الله، كما يمكن أن يتجلد على عذاب الدنيا. ووجه اتصال قوله (فاعترفنا بذنوبنا) بما قبله هو الاقرار بالذنوب بعد الاقرار بصفة الرب، كأنه قيل: فاعترفنا بانك ربنا الذي أمتنا وأحييتنا وطال أمهالك لنا فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه في طاعتك وإتباع مرضاتك. وفي الكلام حذف وتقديره: فاجيبوا ليس من سبيل لكم إلى الخروج (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) أي إذا دعي الله وحده دون آلهتكم جددتم ذلك (وإن يشرك به تؤمنوا) أي إن يشرك به معبودا آخر من الأصنام والأوثان تصدقوا. ثم قال (فالحكم الله) في ذلك والفاصل بين الحق والباطل (العلي الكبير) فالعلي القادر على كل شيء يجب أن يكون قادرا عليه، ويصح ذلك منه وصفة القادرين تتفاضل، فالعلي القادر الذي ليس فوقه من هو أقدر منه ولا من هو مساو له في مقدوره، وجاز وصفه تعالى بالعلي، لأن الصفة بذلك قد تقلب من علو المكان إلى علو الشأن يقال: استعلى عليه بالقوة، واستعلى عليه بالحجة وليس كذلك الرفع فلا يسمى بأنه رفيع، والكبير العظيم في صفاته _____ (1) سورة 6 الانعام آية 28

(*)